دولة يهودية برعاية هتلر وموسوليني؟!

شهم جدنا التاريخ.. فهو حين يجمعنا من حوله كالاطفال ليسرد علينا اخبار ايامه ومغامرات لياليه، يبوح بحلوه ومره، ويجهر بشرفه وعاره، لنتعظ ونتعلم، او لنكفر ونكابر.. وحين يحدثنا في ليالي الدمع والدم عن فضيحته في النازية الالمانية والفاشية الايطالية، تشتعل عيناه بالالم ويغيم جبينه بالخجل والمرارة..

لو كان الذي احدثكم فيه هنا شهادة من راوية غير يهودي لعذبني الشك، ولكن، لما أتت الشهادة من الكاتب اليهودي حبيب كنعان في سلسلة مقالاته التي نشرتها في مطالع ١٩٧٠ صحيفة «هآرتس» الصهيونية، فانني لا اجد سبيلا الى اتهام الشاهد باللاسامية او القدح المغرض..

تقول الشهادة، واميل الى تسميتها بلائحة الاتهام، ان احد الاركان الاساسية للحركة الصهيونية، الذي تزعمه الزعيم الصهيوني المعروف زئيف جبوتنسكي، وخلفه في زعامته ابراهام شتيرن، الذي كان يحمل الاسم التنظيمي «يئير»، وكان يقف في طليعة منظمة ايتسل (ارغون تسفئي ليئومى) اي المنظمة العسكرية القومية ـ هذا الركن

الصهيوني، فكر وعمل باتجاه التعاون مع النازية الالمانية والفاشية الايطالية في سبيل اقامة الدولة اليهودية في فلسطين..

تبدأ هذه الرواية الساخرة الى درجة القرف، مع اعلان بريطانيا الحرب على المانيا الفوهرر النازي هتلر.. فالقائد العسكري العام لمنظمة الايتسل يصدر توجيهاته الى زملائه بالكف عن ازعاج الانتداب البريطاني، واكثر من ذلك، يدعوهم الى التجند والاسهام في المجهود الحربي البريطاني. في الوقت نفسه يمارس الزعماء الصهيونيون ضغوطهم على البريطانيين لاطلاق سراح المعتقلين اليهود، وتستجيب السلطات الانتدابية، وتأخذ في اطلاق سراحهم بالفعل ... ومن ثم يفتح الجيش البريطاني صفوفه لتستقبل اليهود وتدربهم على القتال.

هذا التطور لم يعجب شتيرن المذكور، فقد ساورته الشكوك بان انتصار بريطانيا في الحرب قد يقضي على حلم اليهود بالاستقلال في فلسطين .. ويوجه نقدا حادا الى جبوتنسكي، لان الحكمة - في رأي شتيرن - تقتضي عدم التحيز لاي من الطرفين الا مقابل وعود واضحة. وفوق ذلك فقد ارتأى شتيرن ان يجس النبض لدى دول المحور، واجراء الاتصالات معها لمعرفة موقفها من المطالب القومية اليهودية في فلسطين، ومما شجع هذه الفكرة عند شتيرن الاتفاقية التي كان قد تم التوصل اليها بين الرايخ النازي والوكالة اليهودية، وتنص تلك الاتفاقية على السماح بنقل الممتلكات اليهودية في المانيا الى فلسطين.

وتتخذ الفكرة أبعاداً اكبر في ذهن القائد الصهيوني ابراهام

شتيرن (يئير)، فيرى من القابل للتحقيق ان تقوم المانيا النازية وايطاليا الفاشية بارسال مئات الآلاف من الشبان اليهود المسلحين الى فلسطين لمحاربة الانكليز.. كما فكر ايضا في امكانية تشكيل كتائب عسكرية يهودية لمساعدة قوات المحور في شمال افريقيا، والتي كانت تستعد لغزو مصر..

كان الى جانب شتيرن في قيادة ايتسل، شخص يدعى دافيد رزيئيل.. وكان في رأي رزيئيل، ان هناك تماثلا في المصالح البريطانية واليهودية، لان العرب يكرهون البريطانيين واليهود سواء بسواء وموقف رزيئيل هذا أدى الى اطلاق سراحه من السجن مع فرض اثبات الوجود عليه في مركز الشرطة البريطانية.. واكثر من ذلك توثقت العلاقات بين رزيئيل وزملائه من جهة والبريطانيين من جهة اخرى الى درجة الاتفاق على التعاون بين قلمي الاستخبارات التابعين للطرفين. هذا الموقف اثار حفيظة شتيرن على رزيئيل، وادى في نهاية الامر الى انشقاق جماعة شتيرن عن الايتسل. وقد اطلقوا على انفسهم اسم "المنظمة العسكرية القومية في اسرائيل" .. وبعد موت شتيرن اصبح اسم هذه المنظمة "ليحى" (لوحمى حيروت يسرائيل)، اي "المحاربون لحرية اسرائيل".

وتؤكد الوثائق المتبقية من تلك الفترة، والتي استندت اليها ابحاث "هآرتس" في هذا الموضوع، تؤكد ان الاتصالات بدأت مع جواسيس الدوتشي الايطالي موسوليني، وكان الوسيط شخص يهودي يعمل مع استخبارات "ليحي"، واتضح فيما بعد انه كان جاسوسا لمصلحة الاستخبارات البريطانية..

في معهد جبوتنسكي، في تل ابيب، يحتفظون بمسودة الاتفاقية التي تم التوصل اليها بين الجانبين في سبتمبر ١٩٤٠ .. ويشار الى الجانب الايطالي بالحرف "أ"، والى الجانب اليهودي بالحرف "ب" .. وبموجب الاتفاقية يلتزم الطرف "أ" بتقديم كل المساعدات التي يستطيعها الى الطرف "ب" في سبيل اقامة دولة له في " الحدود التاريخية" لارض اسرائيل (!) ويلتزم الطرف "ب" بان يكون النظام الذي يشكله في هذه الدولة العتيدة مماثلا للنظام في دولة الطرف "أ" (اي النظام الفاشي).. كما يلتزم الطرف "ب" بجعل حيفا قاعدة عسكرية جوية وبحرية للطرف "أ" .. وتنص الاتفاقية على امور اخرى كثيرة من اهمها اجراء "نقليات" (ترانسفير) في السكان، بحيث يصبح اليهود في الدولة (ضمن الحدود التاريخية!) اكثرية ساحقة تبلغ ٨٠٪ على الاقل !!

اما القدس، فتصبح - باستثناء الاماكن المقدسة لليهود- تابعة للكنيسة بشرط ان يضمن الطرف "أ" موافقة الكنيسة على قيام الدولة العبرية.. وتنص الاتفاقية ايضا على ان جميع المؤسسات والمنشآت الاقتصادية تكون تابعة للدولة العبرية باستثناء المشروعات التي لا يعثر على شركات يهودية تستطيع تنفيذها.

الرجل الصامت

ورد آنفا ان الشخص الذي قام بدور الرسول بين شتيرن والفاشيين الايطاليين كان يهوديا.. ولكن اسم الشخص وشهادته عن هذه البضعة المرة من التاريخ الشهم الصريح، ما زال سرا قد يزاح عنه الغبار عام ٢٠٥٠ (!).

لماذا في عام ٢٠٥٠؟.. لان الرجل نفسه يلتزم الصمت ويرفض البوح بتفاصيل دوره المثير لاعتقاده بانه لا يجوز "تحطيم الاساطير" المنسوجة حول المنظات اليهودية في فلسطين ورجالاتها، لان ذلك من شانه ان يلحق الضرر بمعنويات الشبيبة.. وفي عام ٢٠٥٠ فقط تستطيع اسرائيل الاستغناء عن هالات المجد المحيطة برؤوس شتيرن وصحبه.. ويرى «الرجل الصامت» ايضا ان الجهر بالحقيقة كلها قد يؤثر على علاقات اسرائيل ببعض الدول الصديقة لها اليوم(!).

يلين مور في الصورة..

لعل الكثيرين من القراء عرفوا ناتان يلين مور او سمعوا به فهو من قادة ليحي البارزين، واليوم اشتهر بنشاطاته السياسية والاجتماعية المعارضة للحكومة، لسبب او لاخر!.. ويتضح من الوثائق المذكورة انه احتل مكانا ما من صورة المخطط الصهيوني للاتصال بدول المحور..

فبعد الاتفاق الذي اشرنا اليه، والذي كانت بيروت مركزا للاتصالات بشانه، كان من المفروض ان يسافر احد رجال ليحي الي اوروبا لاجراء اتصالات اخرى، مع دول المحور والحكومات الجديدة التي انضمت اليها (حكومة فيشي في فرنسا)، وللعمل بين الشبيبة اليهودية في دول اوروبا، وفي دول البلقان قبل كل شيء، لحضّها على الهجرة غير المشروعة الى فلسطين ولتنمية الروح القومية في صفوفها..

لكن الرجل الذي اسندت اليه هذه المهمة وقع في قبضة البريطانيين فما كان من شتيرن الا ان سارع الى اسناد المهمة الى يلين مور، غير ان يلين مور لم يكد يصل مدينة حلب حتى استدعاه شتيرن ليوكل اليه مركزا قياديا في ليحى، في مجال الدعاية والاعلام.. في هذه الاثناء، وقبل ان يتمكن يلين مور من العودة ألقي عليه القبض في "باب الهوا" على مقربة من حلب واقتاده البريطانيون الى معتقل المزرعة في فلسطين..

بعد فترة قصيرة من الوقت، اطلق ضابط شرطة بريطاني رصاصة من مسدسه اخترقت صدر ابراهام شتيرن المختبىء في غرفة صغيرة على احد سطوح تل ابيب..

وزعزع مصرع شتيرن صفوف ليحى، وفي غمرة الصدمة العنيفة تعطلت الاتصالات مع دول المحور.

وتومض عينا جدنا التاريخ .. بالالم والمرارة .. وفي وميض عينيه تتبدد الهالة المحيطة بالاساطير ..